

التبيان في تفسير القرآن

(78) في آجالهم، لا يمنع منه مانع، وانما منع من التسمية لما قلناه. وقوله: " ثم أنتم تمترون " خطاب للكفار الذين يشكون في البعث والنشور. احتج الله بهذه الآية على الذين عدلوا به غيره، فأعلمهم انه خلقهم من طين، ونقلهم من حال إلى حال، وقضى عليهم الموت، فهم يشاهدون ذلك، ويقرون بأنه لا محيص منه. ثم عجبهم من امترائهم أي من شكهم في انه الواحد القهار على ما يشاء، وفي أنه لم يعث بخلقهم وابقائهم واما تتهم بعد ذلك، وأنه لا بد من جزاء المسيئ والمحسن، ومثله قوله: " يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم " (1) ان الذي قدر على ذلك قادر على أن يبعثكم بعد أن تكونوا ترابا. وقوله " وأجل مسمى عنده " رفع على الابتداء وتم الكلام عند قوله: " ثم قضى أجلا ". قوله تعالى: وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (3) آية إجماعا. قوله " وهو الله في السموات وفي الارض " يحتمل معنيين: أحدهما - قال الزجاج والبلخي، وغيرهما: انه المعبود في السموات والارض، والمتفرد بالتدبير في السموات وفي الارض، لان حلوله فيهما أو شئ منهما لا يجوز عليه. ولا يجوز أن تقول هو زيد في البيت، والدار، وأنت تريد أنه يدبرهما الا ان يكون في الكلام ما يدل على ان المراد به التدبير كقول القائل: فلان الخليفة في الشرق والغرب، لان المعنى في ذلك أنه المدبر فيهما. _____ (1) سورة 22 الحج آية 5.